العرب
الإثنين 2019/09/16
السنة 42 العدد 11469

روسيا ورقة إيرانية... في سوريا

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

لم تنته الحرب في سوريا، كما يقول وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف. لم تنته الحرب لا في سوريا، ولا في غير سوريا، ما دامت هناك رغبة إيرانية في الإستمرار في مشروع توسّعي على كلّ المستويات وفي أنحاء مختلفة في المنطقة. يترافق هذا المشروع الإيراني مع رغبة إسرائيلية في استغلال ما تقوم به إيران إلى أبعد حدود، من أجل تكريس احتلالها لجزء من الضفة الغربية، بما في ذلك القدس الشرقية.

هذه الحرب القائمة في سوريا منذ ثماني سنوات والتي تستهدف الشعب السوري بدأت ولكن بشكل جديد وهي تندرج، اليوم أكثر من أي وقت، في إطار سلسلة الحروب الدائرة في المنطقة. يشكّل الهجوم الذي تعرضت له منشأتان نفطيتان سعوديتان في بقيق وهجرة خريص خير دليل على حرب تشنها إيران عبر أدواتها على المملكة العربية السعودية. يؤكّد هذان الهجومان على معملين لشركة "أرامكو" وجود رغبة إيرانية في استخدام الحوثيين في تهديد دول الخليج العربي، على رأسها المملكة العربية السعودية، انطلاقا من اليمن. وهذا يفرض في طبيعة الحال البحث عن إستراتيجية خليجية جديدة في مواجهة الخطر الآتي من إيران، والذي تختزله القدرة على استخدام ميليشيات مذهبية في حروب تصب في عملية تقويض مقومات الاستقرار في المنطقة.

ليست لدى روسيا أي رؤية شاملة لما يدور في المنطقة. تعمل روسيا بدورها على الطريقة الإيرانية، خصوصا في سوريا حيث ليس ما يشير إلى أكثر من رغبة في مواجهة إيران من دون مواجهتها على أمل الاستفادة من وجودها في ابتزاز الولايات المتحدة.

من الواضح أن روسيا، التي تواجه وضعا داخليا غير مريح، عبرت عنه نتائج الانتخابات المحلية الأخيرة التي أظهر الشعب من خلالها رفضه لسياسات فلاديمير بوتين، لا تنوي التخلي عن ورقة إيران في سوريا

نجحت روسيا إلى حدّ كبير في ابتزاز تركيا في سوريا. أثبت رجب طيب أردوغان أنّه سياسي فاشل لا يعرف ماذا يريد. يطلق شعارات، مثله مثل أي زعيم عربي من أولئك الذين جاؤوا إلى السلطة من صفوف الجيش في خمسينات وستينات وسبعينات وثمانينات القرن الماضي وراحوا يغطون القمع بالكلام الكبير من نوع تحرير فلسطين.

انتهت تركيا من بلد يريد إسقاط النظام السوري وتحرير الشعب من نظام أقلّوي، إلى بلد يريد ابتزاز دول أوروبا عن طريق التهديد بإرسال السوريين الموجودين لديه إليها!

كلّ ما في الأمر أن الأوضاع تزداد تعقيدا في المنطقة. ليس معروفا بعد هل ستقوم قيامة في يوم من الأيّام للعراق، حيث يحرص مقتدى الصدر على الاحتفال بذكرى عاشوراء في إيران إلى جانب الجنرال قاسم سليماني قائد "فيلق القدس" في "الحرس الثوري". بدا الصدر الذي كان هناك رهان كبير على لعبه دورا في إظهار وجود نزعة استقلالية لدى شيعة العراق تجاه إيران بمثابة تلميذ نجيب في حضرة "المرشد" علي خامنئي.

أمّا في لبنان، فقد ذهبت إيران في تماديها على استقلال البلد وسيادته إلى مرحلة اللاعودة، ففي ذكرى عاشوراء، لم يجد حسن نصرالله، الأمين العام لـ"حزب الله"، ما يقوله غير الآتي "نحن هنا من لبنان نقول للعالم كله إن إمامنا وقائدنا وسيدنا وعزيزنا وحسيْننا في هذا الزمان هو سماحة آية الله العظمى الإمام السيّد علي الحسيني الخامنئي دام ظلّه، وأن الجمهورية الإسلامية في إيران هي قلب المحور وهي مركزه الأساسي وهي داعمه الأقوى، وهي عنوانه وعنفوانه وقوّته وحقيقته وجوهره". مضيفا "نرفض أي مشروع حرب على الجمهورية الإسلامية في إيران لأن هذه الحرب ستشعل المنطقة وتدمّر دولا وشعوبا، ولأنّها ستكون حربا على كلّ محور المقاومة وتهدف إلى إسقاط آخر الآمال المعقودة لاستعادة فلسطين والمقدسات".

صحيح أن هذا الكلام لم يَلْقَ الردّ الذي كان يجب أن يلقاه من كبار المسؤولين اللبنانيين، الذين يتحدثون عن السيادة اللبنانية بين حين وآخر، لكنّ الصحيح أيضا أنّه بات من الممكن التساؤل هل انضمت روسيا، التي تجاهلت هذا الكلام الإيراني عن لبنان، إلى ما يسمّى "محور المقاومة"؟

يمكن القول، ربّما، إنّ روسيا تريد الاستفادة من غياب الإستراتيجية الأميركية تجاه سوريا. ليس هناك ما يشير إلى رغبة في بلورة إستراتيجية أميركية خارج العقوبات على إيران التي تعاني اقتصاديا، ولكنّها تبدو مصرّة على تمرير هذه المرحلة، لعلّ دونالد ترامب يفشل في الحصول على ولاية ثانية في انتخابات خريف العام 2020. في حال حصول لقاء بين ترامب والرئيس الإيراني حسن روحاني على هامش دورة الجمعية العمومية للأمم المتحدة، سيندرج مثل هذا اللقاء في سياق سعي إيران لكسب الوقت ليس إلّا وتمرير المرحلة الراهنة، مرحلة العقوبات الأميركية.

من الواضح أن روسيا، التي تواجه وضعا داخليا غير مريح، عبرت عنه نتائج الانتخابات المحلية الأخيرة التي أظهر الشعب من خلالها رفضه لسياسات فلاديمير بوتين، لا تنوي التخلي عن ورقة إيران في سوريا. عندما يقول لافروف إن الحرب انتهت في هذا البلد، معنى ذلك أن إيران خرجت منتصرة. كيف يمكن أن تنتهي الحرب فيما تدلّ كلّ المؤشرات على أن الدولة المركزية انهارت كلّيا، وأن لا مكان في المناطق التي تحت سيطرتها سوى لميليشيات تابعة إمّا لإيران، وإمّا لروسيا أو لبعض "الشبيحة" الذين استطاعوا إيجاد موقع لهم في ظل الحرب.

ثمّة حاجة روسية إلى بعض التواضع والواقعية أكثر من أيّ شيء آخر. في غياب التواضع والواقعية، ليس أمام الكرملين سوى لعب دور الشريك في تغيير تركيبة سوريا، خصوصا على الصعيد الديموغرافي، إرضاء لرغبات إيران. هل يمكن لروسيا التي حالت دون خروج بشّار الأسد من دمشق في العام 2015 القبول بلعب دور التابع لإيران؟

هذا السؤال يطرح نفسه بحدّة هذه الأيّام، في وقت ليس معروفا كيف ستنتهي الصراعات القائمة داخل الحلقة الضيقة المحيطة ببشار الأسد، وهي صراعات تتميّز بلعبة شدّ حبال بين بشار وابن خاله رامي مخلوف، وهي لعبة لا يبدو أن زوجة بشّار (أسماء) بعيدة عنها.

عندما يقول سيرجي لافروف إن الحرب انتهت في سوريا، يبدو معنى ذلك أن روسيا ما زالت تبحث عن دور في هذا البلد بعدما فشلت بتنفيذ وعدها للأميركيين والإسرائيليين في إبعاد الإيرانيين مسافة كافية عن الجولان. هذا الفشل هو بيت القصيد الذي يجعل موسكو تبحث عن دور سوري. في انتظار العثور على مثل هذا الدور، سيصعب عليها اكتشاف أنّ قتل المدنيين في إدلب لا يفيد في شيء ولا ينهي حربا. إنّه مساهمة في خدمة دور إيراني لا أفق له، لا لشيء سوى لأنّ إيران لا تستطيع الوقوف على رجليها اقتصاديا... تماما كما حصل مع الاتحاد السوفياتي الذي أراد بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية لعب دور لا يستطيع اقتصاده تحمل أعبائه على الصعيد العالمي...

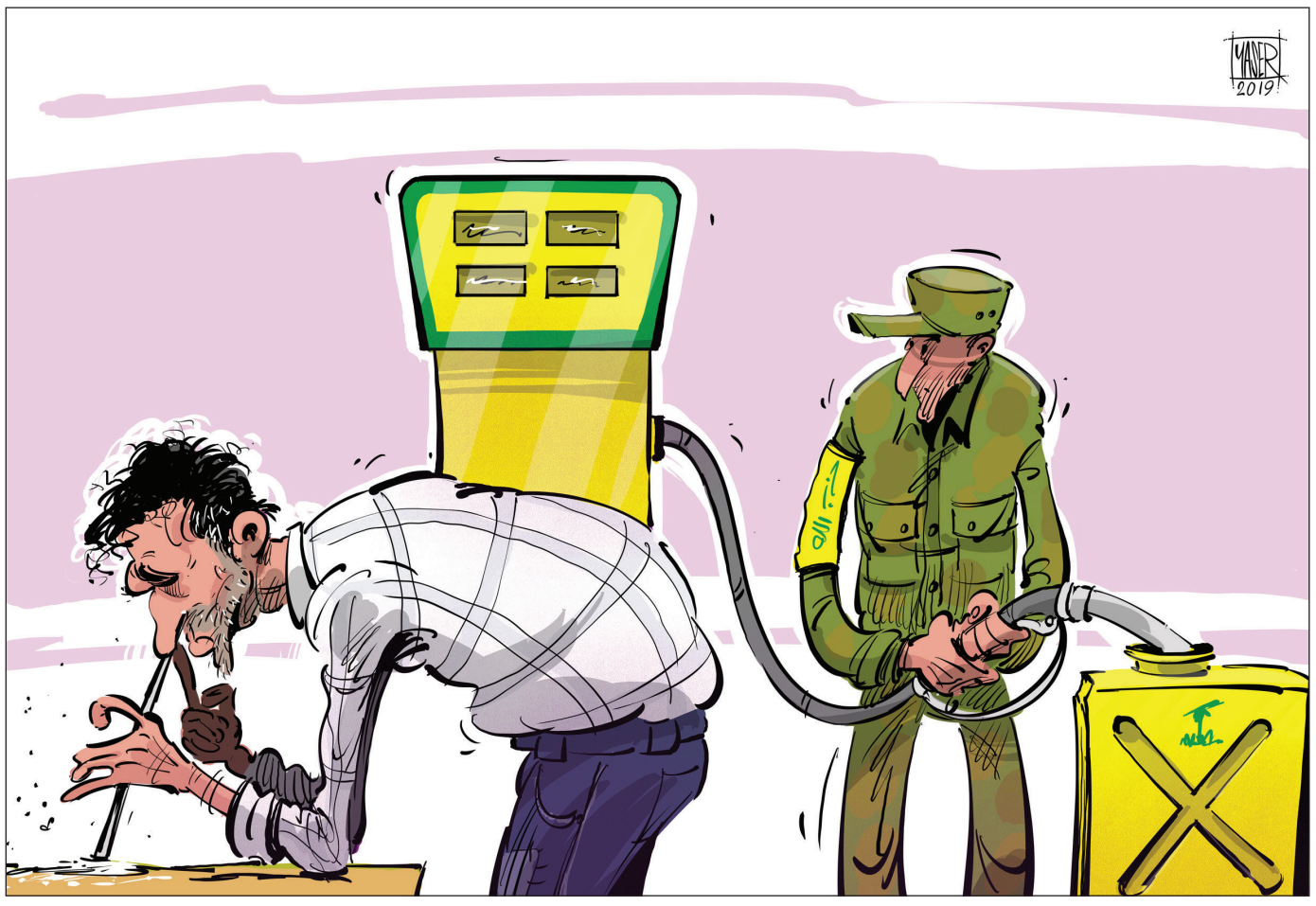

حروب الولايات المتحدة التي لا تكتمل

علي قاسم
كاتب سوري
مقيم في تونس

الهجمات الأخيرة التي طالت منشآت النفط في المملكة العربية السعودية، لم تستهدف المملكة وحدها، بل طالت تأثيراتها السلبية لتشمل الاقتصاد الأميركي، والاقتصاد العالمي. الرئيس الأميركي دونالد ترامب يعلم ذلك أكثر من غيره، فهو رجل اقتصاد وأعمال، قبل أن يكون رجل سياسة، وأن يصدر التعليق عنه أمر له دلالته.

الهجمات أثرت على خمسة ملايين برميل من إنتاج النفط الخام يوميا، وهو ما يقارب نصف إنتاج السعودية، أو خمسة بالمئة من المعروض العالمي.

ورغم إعلان جماعة الحوثي، وكيل طهران في اليمن، مسؤوليتها عن الهجوم، إلا أن واشنطن استبعدت على لسان وزير خارجيتها، مايك بومبيو، أن يكون اليمن مصدر الهجمات، متهما إيران بشكل مباشر، واصفا جهودها الدبلوماسية التي تقوم بها بالكاذبة.

وحمل بومبيو طهران المسؤولية عن نحو 100 هجوم تعرضت لها المملكة، في الوقت الذي يتظاهر فيه الرئيس الإيراني حسن روحاني، ووزير خارجيته جواد ظريف، بانخراطهما في الدبلوماسية. هل حان الوقت الذي تضع فيه الولايات المتحدة على الطاولة خطة للهجوم على مصافي النفط الإيرانية؟ هذا ما يعتقده السيناتور الأميركي، لينزي غراهام، الذي دعا الحكومة الأميركية إلى دراسة توجيه ضربة عسكرية لمنشآت النفط في إيران.

لينزي ، ومعه مسؤولون أميركيون آخرون، يعتقدون أن إيران لن توقف أعمالها، التي وصفوها بـ"السيئة"، حتى تعرف أن عواقبها أكثر جدية، مثل مهاجمة مصافيها، التي حقا ستكسر ظهر النظام.

ضربة مقابل ضربة، هذا ما يقترحه السيناتور الأميركي، ويلوح به وزير الخارجية، سياسة أثبتت فشلها في الماضي، فلماذا نصدق الآن أنها ستكون ناجحة مع طهران. لا ينفع أن تكون العين بالعين، والسن بالسن، الأمر ليس بهذه البساطة، مع الإرهاب يجب اقتلاع الشر من جذوره.

إن كنا من جماعة نظرية المؤامرة، سنقول إن الولايات المتحدة تشعل الحرائق لتبقيها مشتعلة، ولكن، إن لم يكن في الأمر مؤامرة، فماذا يكون إذا؟

لماذا تتكبد الولايات المتحدة خسائر ضخمة، في المال وفي البشر، ثم تعلن تراجعها وانسحابها قبل أن تكتمل المهمة؟ هناك من يفسر الأمر بضغوط الشارع الأميركي. الأميركيون، منذ الحرب في الفيتنام، وجهوا سؤالا للسياسيين تكرر في أكثر من مناسبة، لماذا نخوض حروب غيرنا، في أراض بعيدة عنا؟

المسؤولون في الولايات المتحدة يعلمون أن الحروب التي يخوضونها هي في الحقيقة حروبهم، ويعلمون أيضا أن المسافات اليوم لم تعد موجودة.. جغرافيا، نعم، ولكن أمنيا واقتصاديا، أصبحت ملغاة. المشكلة تبقى مشكلة صناديق اقتراع، الرؤساء الذين يطمحون إلى فترة حكم ثانية، عليهم أن ينهوا فترتهم الأولى بوصفهم أبطال سلام، وليس أبطال حرب.. حدث ذلك أكثر من مرة، وفي أكثر من أزمة.

بعد 18 عاما، أنفقت فيها الولايات المتحدة 900 مليار دولار، ولقي خلالها 147 ألف شخص حتفهم، لا تزال طالبان تسيطر على نصف أفغانستان، ولا تخفي طموحها للسيطرة على النصف الآخر.

خسائر الولايات المتحدة وحدها من الجنود تجاوزت 2400 جندي، وخسر الحلفاء 1144 جنديا من قوات حلف الناتو.

وفي العراق بلغت تكلفة الحرب الأميركية 1.7 تريليون دولار، حسب دراسة أعدها معهد واتسون للدراسات الدولية بجامعة براون الأميركية، إضافة إلى 490 مليار دولار هي مستحقات قدامى المحاربين، وهي نفقات قد تنمو، حسب نفس الدراسة التي حملت عنوان "تكاليف مشروع الحرب"، إلى أكثر من ستة تريليونات دولار خلال العقود الأربعة المقبلة، بحساب الفائدة.

الدراسة تحديث لتقرير أعده معهد واتسون عام 2011، تضمن تقديرات للخسائر المادية والبشرية للحروب التي تلت الهجمات في أفغانستان وباكستان والعراق.

بعد كل تلك الخسائر، المادية والبشرية، مازالت إيران تزود وكلاءها من الميليشيات في اليمن وسوريا ولبنان والعراق بالسلاح، وترسل من خلالهم رسائل تتحدى فيها الحصار المفروض عليها.

تركيا، حليفة واشنطن، التي تحولت تحت حكومة رجب طيب أردوغان إلى راع للإخوان المسلمين، تقدم هي الأخرى الدعم لوكلائها، خاصة في ليبيا، متمسكة بآخر أمل لها في استمرار الإخوان المسلمين، بعد أن انهارت سلطتهم في دول الربيع العربي، دولة إثر الأخرى.

لنستعير ما قاله وزير الدولة الإماراتي للشؤون الخارجية، أنور قرقاش، مشيرا إلى الإمارات والسعودية، ونعممه على دول المنطقة والعالم. الهجوم الإرهابي على منشآت أرامكو طال الجميع، والتحدي الاستراتيجي الذي نواجهه يفرض تضافر كل الجهود، يجب أن نختار بكل مسؤولية موقفنا وموقعنا.. فمسارنا ومصيرنا واحد.

في الحرب ضد التطرف، العين ليست بالعين.. العين بتجفيف موارد الإرهاب.. وهذا لن يكون إلا بتجفيف المستنقع الإيراني والتركي.

النفط بالنفط والبادي أظلم

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

حتى أبسط مواطن لا يهتم بالسياسة وعلومها وأخبارها يعرف جيدا أن الهجوم الذي أصاب مصافي البترول السعودية إيراني دون شك، ولكنه يعلم أيضا أن إيران، بهذا الهجوم، لا يعني أنها تحارب السعودية وحدها، بل هي حربٌ معلنة ضد مصادر الطاقة العالمية، وضد أمن منطقة تتركز فيها مصالح حكومات وشعوب غير خليجية وغير عربية عديدة لا تحصى، بدءا بأميركا والصين واليابان والهند، وانتهاء بالصومال وجيبوتي.

فالذي فعله ويفعله الحرس الثوري، مباشرة وعلنا، أو بواسطة وكلائه وعملائه العراقيين واليمنيين واللبنانيين والسوريين، باستهدافه ناقلات النفط العربية والأجنبية في مضيق هرمز والخليج العربي، وبإرسالياته المتكررة من الطائرات المسيرة إلى مواقع إنتاج البترول في الدول التي تضعها إيران في خانة الحلفاء الأقرب والأهم لأميركا ترامب إنما يعني أن القادة الإيرانيين، عسكريين ومدنيين، يقولون للعالم، ولأميركا، تخصيصا، إما أن تطنشوا عن مشاريعنا النووية ونشاطاتنا الاحتلالية في المنطقة العربية الممتدة من شواطئ الخليج العربي إلى شواطئ البحريْن الأبيض والأحمر، أو وجع الرأس الدائم والمؤلم الذي لا ينتهي.

ثم لو أن هذه النشاطات الإيرانية لم تكن إلا ردا على عقوبات ترامب، وعلى سياسة الخنق الاقتصادي والعسكري والسياسي التي يصر على استمرارها حتى نهايتها لكان لها شيء من الفهم والتبرير، على أساس أن "النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص".

ولكن هذا السلوك الاحتلالي الاستعماري التهديمي التخريبي مولودٌ مع نظام الحكم الذي ابتدعه الخميني، والقائم أساسا على فكرة تصدير الثورة إلى دول الجوار، ولفرض الهيمنة على جميع ثروات المنطقة من أجل ليّ ذراع المجتمع الدولي، وإجبار أقوى الدول قبل أضعفها على القبول بوصاية إيرانية مطلقة على دول الشرق الأوسط، كافة دون اعتراض.

وهنا يبرز هذا السؤال، ألم يصل الرئيس الأميركي دونالد ترامب بعدُ إلى قناعة بذلك؟ ثم سؤال آخر، ماذا ينتظر؟

في سنة 1982 بدأت حرب ناقلات النفط بين صدام حسين والخميني، إلى أن أدرك الطرفان أن كليهما خاسر، وإن عليه أن يتوقف، فتوقف.

ثم، بعد سبعة أعوام من الاقتتال، دون أن ينتصر هذا أو أن ينهزم ذاك، لجأ الخصمان العنيدان إلى حرب المدن. فراحت تتساقط صواريخ الخميني على بغداد، وصواريخ صدام على طهران، ثم باشرا بحرب إسقاط الطائرات المدنية وتفجير محطات القطار والموانئ إلى أن أدركا معا، أن الرابح في هذا النوع من الحروب خاسر أيضا، فتوقفا عن هذا النوع من الجنون، ثم تجرع الخميني كأس السم ووافق على وقف إطلاق النار. أليس في كل تلك الصفحات السوداء من تلك الحرب الغبية دروسٌ وعبرٌ لمن يريد أن يعتبر؟

ترى، إذا كان المرشد الإيراني البادئ بحرب ناقلات النفط ومنابع البترول والمطارات والموانئ قد وجد بيسر وسهولة وكلاء قابلين بالقتال نيابة عنه، ضد حكومات المنطقة وشعوبها، وضد دول العالم ومصالحها، فأليس سهلا، أيضا، ويسيرا، أن تلجأ أميركا الغنية وحليفاتها الثرية الأخرى إلى نفس طريقة علي خامنئي في التقاتل بالوكلاء، فتجد من يتولى فلّ الحديد بالحديد، ويقارع العدوان بالعدوان، والحرق بالحرق، والطائرة المسيرة بالطائرة المسيرة، ويرسل الصواريخ الموجهة إلى مصافي النفط الإيرانية، ذاتها، وإلى سفن الحرس الثوري وبوارجه وموانئه ومواقع تجمعاته ومخازن طائراته وصواريخه، لتكون واحدة بواحدة، والبادي أظلم، وأكثر ضلالة؟

فدون هذا لن يفهم المرشد الإيراني أن لكل شيء ثمنا في هذا الزمن الرديء. ترى ماذا ينتظر ترامب، وماذا ينتظر حلفاؤه الآخرون؟